المحاضرة الثامنة .....البلاد العربية الحديثة ....

الغزو الاسباني للجزائر وطرابلس وتونس:-

اتخذ الغزو الاسباني لأقطار المغرب العربي طابعا دينيا صليبيا ، إذ لم يقنع الاسبان بالقضاء على الوجود العربي في الاندلس وإنما هدفوا إلى مطاردة العرب في شمال إفريقيا والوصول إلى مصادر ثروتهم الأساسية في ذلك الوقت والمتمثلة باحتكار التجارة ، وكان لظهور دولة اسبانيا الحديثة الموحدة أثر زواج فرديناند الخامس الكاثوليكي بالملكة إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة الكاثوليكية أثر كبير في توجيه أنظارهم نحو الشمال الأفريقي ، وقد بارك البابا اسكندر بورجيا الرابع نشاطات الأسبان في هذا المجال ونثر قرارا يعطي الولاية لملكي اسبانيا على الاراضي التي يبسطان السيطرة الاسبانية عليها .

لقد احتل الاسبان مرفأ عنابة سنة ١٤٦٣ وبعد حصا دام قرابة شهرين ومقاومة عنيفة من سكانها استطاع الأسبان احتلال مدينة المرسي الكبير غربي الجزائر في أيلول سنة ١٥٠٥ وفي ١٧ اذار ١٥٠٩ احتل الاسبان مدينة وهران التي كانت تبعد عن المرسي الكبير ثمانية كيلومترات ، كما احتلوا في ٥ كانون الثاني ١٥١٠ مدينة بجاية وبعد استيلائهم على جزيرة اسطفة أصبحت مدينة الجزائر ضمن مدى مدفعيتهم فاحتلوها سنة ١٥١١ ولقد حاول الأسبان التوغل داخل الجزائر لكنهم فشلوا بعد مقاومة عنيفة التي أبداها السكان .

لم تقف مطامع الاسبان عن احتلالهم الجزائر ، بل امتدت لتشمل السواحل الشرقية فاصطدم القائد الاسباني الكونت بدرو نفارو بمقاومة عرب السواحل التونسية الذين استفادوا من هزيمة إخوانهم عرب السواحل الجزائرية فهرعوا لتقوية الحصون وإعداد العدة للمقاومة ولم يتركوا ثغرة يستطيع العدو النفاد فيها ، الأمر الذي اضطر بدرو نفارو إلى اتباع تسراتيجية جديدة تقوم على احتلال طرابلس ومن ثم التقدم نحو الشمال ، ورغم مقاومة طرابلس ، فإن الاسبان تمكنوا من اقتحام المدينة يوم ٢٥تموز سنة ١٥١٠ بعد ان بلغت خسائرهم قرابة ٣٠٠ قتيل .

اتجه القائد الاسباني بدرو نفارو نحو الساحل الغربي لاحتلال جزيرة جربة ، ولكنه انسحب من أمامها في أواخر تموز ١٥١٠ أمام مقاومة أهاليها ، ولم يكن السكان في الجزائر قرفنة أقل من إخوانهم أهالي جزيرة جربة استعدادا وتصميما على المقاومة ، لذلك عاد بدرو نفارو إلى مدينة بجاية في شباط سنة ١٥١١م .

وقد قاد الملك الاسباني شارلكان حملة بحرية يوم ٣١ أيار سنة ١٥٣٥ مؤلفة من ٣٠ ألف من المقاتلين الذين أصبحوا يوم ١٦ حزيران من السنة نفسها أمام أطلال مدينة قرطاجة وسواحل مدينة تونس ن وفي ٢١ حزيران احتلال الاسبان مدينة تونس وأباحوا لجنوهم نهبها انتقاما من أهلها الذين قاوموا الاحتلال .

فرض الاسبان على السلطان الحفصي الحسن بن محمد معاهدة مهينة كان من أبرز بنودها :

١- اعتراف الدولة الحفصية بتبعيتها للدولة الأسبانية .

٢- ملكية الاسبان ملكية مطلقة لمرسى حلق الوادي وقرطاجة ومدينتي عنابة والمهدية .

٣- التزام " السلطان " بأن لا يدخل بلاده أحد من مهاجري الأندلس .

وهكذا كان الاحتلال الأسباني للجزائر وطرابلس وتونس جزءا من خطة صليبية أوربية استعمارية استهدفت تطويق العالم الإسلامي والوطن العربي ، وذلك لمحاولة إخضاع هذه المنطقة لنفوذهم والسعي لطمس معالم الحضارة العربية وقد استطاع الاسبان والبرتغال من توجيه ضربة شديدة إلى اقتصاد الوطن العربي بعد أن وضعوا أيديهم على تجارته فأصبحوا قادرين على إيصال البضائع إلى أوربا بأسعار تقل عن أسعار البضائع التي كانت تمر بالأقطار العربية وتدفع رسوما كثيرة .

لم يكن العثمانيون وهو القوة الفتية في العالم الاسلامي آنذاك بغافلين عن تلك التطورات الخطيرة التي كانت تحرك العالم في مطلع القرن السادس عشر الأمر الذي أدى إلى اندفاعهم في البحار ذات القيمة التجارية ولاسيما منها البحر المتوسط والمحيط الهندي ، وقد وجد السلطان سليم الأول أن على الدولة العثمانية إذا ما أرادت لممتلكاتها حفاظا أن ترمي ثقلها

في ذلك الصراع قبل فوات الأوان ، فاحتلال الوطن العربي يحقق لها عدة أهداف أهمها بسط السيطرة العثمانية على الحوض الشرقي والجنوبي للبحر المتوسط ، وإبعاد نفوذ البنادقة والجنوبيين عنه ، والحد من عبث القرصنة الأوربية وتأمين المواصلات البحرية للدولة العثمانية وتجارتها والوصول إلى الأماكن المقدسة وحمايتها من إمكانات عبث البرتغاليين بعد ان ثبت إخفاق المماليك في هذه المهمة ، والسعي لإعادة الدولة الإسلامية إلى وحدتها السابقة وهيبتها الماضية وإبعاد مطامع الأوربيين ومنعهم من تطويق الدولة العثمانية وسد منافذ التجارة عليها .